



محمد زكريا

## ممبر التراث

## الاحتفالات بفتح القسطنطينية

### الأتراك يحتفلون

بمناسبة فتح العثمانيون للقسطنطينية منذ أكثر من خمسمائة عام ، احتفل الأتراك بذلك المناسبة . والحقيقة يحق للأتراك الاحتفال بفتح تلك الذكرى العظيمة . فقد كانت القسطنطينية عاصمة ومقر حكم الإمبراطورية البيزنطية التي عرف عنها بغرستها وجبروتها . وأنها كانت ترى الشعوب الذي حولها مجموعة من البربر يجب أن يكونوا في خدمة الإمبراطورية والإمبراطور .

### محمد الفاتح

وفي الحقيقة أن الإمبراطورية البيزنطية أذقت الشعوب

الوانا من العذاب والذل والقهر والهوان . ولقد تطلعت الشعوب المقهورة بمنة ويسرة لعلها تجد من مخالبيها القاسية التي غرست في لحمها قرونا طويلة والتي نزفت منها دماء غزيرة . وفي سنة ( ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م ) ظهر على مسرح الدولة العلية العثمانية شخصية قوية اتسمت برياطة الجاش ، والحنكة العسكرية ، والشجاعة ، والإقدام ، والجرأة على مواجهة الأخطار انه السلطان محمد الثاني الفاتح ( ٨٢٤ / ٨٥٥ هـ / ١٤٢١ م – ١٤٨١ م ) الذي حكم السلطنة العثمانية قرابة ثلاثين عاما . وكانت من المشاكل الصحية والخطيرة التي واجهته وواجهة السلطنة بعد أن تولى مقاليد الحكم فتح تتمثل في موقف الإمبراطور قسطنطين من السلطنة العثمانية الناشئة والذي كان يعمد على الهجوم على حدودها ، فيقتل ، ويدمر ، ويحرق القرى الواقعة تحت نفوذ السلطنة العثمانية .

### مؤامرات الإمبراطورية البيزنطية

وفي واقع الأمر ، أن الإمبراطور البيزنطي كان لديه بعدا سياسيا عميقا ، أو قل كان قارئا جيدا للأحداث المستقبلية بأن على الإمبراطورية البيزنطية من أجل البقاء والاستمرار في الحياة السياسية عليها القضاء على السلطنة العثمانية الفتية المجاورة لإمبراطوريته. ولقد أكدت المصادر البيزنطية أن الإمبراطور البيزنطية كان يجيش الجيوش على حدودها بهدف الزحف عليها وفتح التخلّص منها نهائيا . وتذكر أيضا المصادر البيزنطية أن الإمبراطور قسطنطين عمل على نشر القلاقل ، والفتن ، والإضطرابات في داخل السلطنة العثمانية حتى يعمل إضعاف

شوكتها عندما يحين الزحف عليها .

### زحف الجيوش البيزنطية

وفي الحقيقة كل تلك المخاطر والمؤامرات والفتن والقلاقل اطلت برأسها النبش في بداية حكم السلطان محمد الثاني – كما مر بنا سابقا – . ويبدو أن المسرح السياسي في تلك المنطقة كان مهيبا لظهور مثل ذلك السلطان العثماني القوي الذي وقف بالرصداء لكل تلك المخاطر الصعبة التي كانت تهدد السلطنة والسلطان نفسه ولقد أدرك السلطان محمد الثاني الذي حاول تكرارا ومرارا أن يوقع صلح مع الإمبراطور قسطنطين إلا أن تلك المحاولات كلها نهضت انراج عراج بسبب غروره وغطرسته . ولقد تلقى عميون السلطان العثماني معلومات مفادها أن الإمبراطور البيزنطي قد جيش الجيوش على حدود السلطنة ، وأن موعد زحف جيوشه عليها قريب جدا .

### قطع رأس الأفعى

وهنا تذكر المصادر العثمانية ، أن السلطان محمد الثاني وضع خطة خطيرة وهي قطع رأس الأفعى ويقصد بذلك فتح القسطنطينية . في الوقت الذي كان يستعد الإمبراطور البيزنطي المغرور بقوته العسكرية . كان يعمل السلطان العثماني بسرية مطلقة على تجهز الجيوش وكل ما يتعلق بشؤون الحرب . وكان يقوم بنفسه على الإشراف على تدريب الجنود . ولم تفض شهور قليلة حتى كان يلوح في الأفق وقوع صدامسا عسكريا ضخما ورموعا بين السلطنة العثمانية الفتية والإمبراطورية البيزنطية



# السلطنات الحضرمية في الجزر الاندونيسية

قد تحدثت بين المهاجرين الحضارم من وقت إلى آخر ، وكانوا أيضا يرجعوا إليهم في شئون دنياهم ودينهم . وكيفما كان الأمر ، إزدهارا وأسعا من ناحية أخرى وكان فقد كان لهم تأثير كبير بين المهاجرين الحضارم بل وبين السكان المحليين أنفسهم .

× استطاع الحضارم في باتافيا ( جاكرتا ) أن يحافظوا على تراثهم الثقافي أو بمعنى آخر تمكن هؤلاء المهاجرين تصمد لتوسيعهم الهولندي . وأنبطت فيها أصيلة من خلال طراز البانيان ، وأن يهتموا اهتماما بالغا كذلك باللغة العربية وذلك من خلال حفظ القرآن حتى يكون هناك جسور ثقافية بين الحضارم في الجزر الاندونيسيا المختلفة وخاصة بين المولدين من أبنائهم . وضال المهاجرين الحضارم من القوة أن يؤسسوا عددا من المساجد الكبرى والصغيرة في باتافيا .

× وصارت باتافيا ( جاكرتا ) في وقت قريب من أهم المدن أو المناطق الاندونيسية وإن لم أهمها على الإطلاق . وهذا بفضل همة ونشاط وعزيمة المهاجرين الحضارم الذين نشروا فيها العمران . كما نشروا فيها أخلاق الإسلام الحنيف .

#### جزيرون

ومن المستوطنات أو المدن التي انشأها المهاجرين الحضارم في الأرخيبيل الهندي الجزر الاندونيسيا هي مستوطنة أو سلطنة ( شريبون ) . وقد ظهرت إلى حيز الوجود تقريبا سنة ١٨٤٥ م . ويبدو أن الحضارم في تلك الجزيرة أو تلك المنطقة من الفئات الاجتماعية المتوسطة الحال اقتصاديا . وأول ما تلاحظه في تلك المستوطنة أو غيرها من المستوطنات والمدن التي انشأها الحضارم في جزر اندونيسيا هو بناء عدد من المساجد الذي تؤدي فيها الصلوات الخمس وبعض منها يؤدي فيها صلاة الجمعة أو العيد . والمسجد والمكعب أو البيت الذي انشأه الحضارم في تلك الجزر المستوطنات كان بجانبه سوق الحضارم ، أو السوق العربي ، وعدد من بيوت المهاجرين الحضارم وهي بجانب بعضها البعض وكل الصفة المعمارية تسود كافة الجزر الذي استقر به الحضارم .

وعندما كانت تسعد المدينة ، فكان يتولد منها مدينة أصغر ولكنها تكون أكثر منها ريقا وإزدهارا وذلك بسبب موقعها الذي يقع على الطريق التجاري في الأرخيبيل الهندي من ناحية ونشاط الحضارم أنفسهم من ناحية أخرى وذلك مثل مستوطنة ( اندرامايو ) الحضرمية .

### تيجال

× ذكر الباحث الهولندي أنه يوجد فئة قليلة من السادة الحضارم ، ولكنه لم يقول أن حياة المهاجرين الحضارم في باتافيا هي غيرهما من جزر اندونيسيا أو الأرخيبيل الهندي . وأن هؤلاء السادة كان لهم دورا هاما في نشر الإسلام بين السكان المحليين سواء في باتافيا أو غيرها من المناطق الاندونيسية حيث أقاموا المساجد المنيقة التي كانت تدرس الحديث والعقيدة ، وتدرّس اللغة العربية ، وتقيم ومسابدئ الإسلام وما شابه ذلك . وكان هؤلاء السادة الحضارم الذين ينتمى نسيمهم إلى ( الحسن والحسين ) من أبناء فاطمة – رضي الله عنهم – لهم تأثير روحي عظيم في نفوس الحضارم الأوائل وأبنائهم المولودين من أم اندونيسيا ( جاكرتا – بحق – المستوطنات التي وفدت إلى تلك الجزيرة هي من قبائل نهد ، أو الكثير ، ويقع .... ) وسبب هذه الهجرة أصبحت المستوطنات مكتظة بالسكان وفي بعض الأحيان تنسك عائلتان أو ثلاث عائلات في منزل واحد ...

### جاوه

وتعد جزيرة جاوه أول المستوطنات أو المدن التي أسسها المهاجرين الحضارم في اندونيسيا وتميزت تلك الجزيرة بأنها توجد بها كثرة وسكانية كبيرة من

: " لقد أصبحت مستوطنة باتافيا ( جاكرتا

( إحدى أكبر المستوطنات العربية في الأرخيبيل الهندي وذلك على الرغم من أن نشأتها تعود إلى نصف قرن فقط . وهي أكبر المستوطنات العربية ( المستوطنات الحضرمية ) . ولم تصعب هذه المستوطنة وعن طراز المعماري للمهاجرين الحضارم في باتافيا ( جاكرتا ) . يقول فان دن بيرخ : وقد شيدت جميع البيوت في هذه المستوطنة من الطوب ، وبالطراز نفسه الذي شيدت به البيوت في أحياء الأوروبيين وسط مدينة باتافيا القديمة . ووجود الشرفة الصغيرة والمعلقة ( المشربية ) هو الذي يبين هوية السكان . " وحول أحيائهم و مساجدهم في باتافيا فيصفها ، قائلا : " وقع وسط الحي مسجد عربي واسع يشرف عليه رجل دين من قوميتهم يتولى أيضا مهام معلم المدرسة . وقد حجرت إحدى غرف الطابق الأرضي من المسجد للمدرسة . وفي هذا المبنى تعلق كلمة ( لا نجار ) على هي هذا المبنى الذي بعد وفقا ويمتلك ما يكفي من مصادره الدخل . ومع ذلك ينبغي الإشارة إلى أن العرب ( الحضارم ) لا يقبلون صلاة الجمعة في هذا المسجد بل يؤدونها في المسجد الكبير الموجود في حي السكان المحليين . ويشير أيضا إلى مسجد صغير يقع في حي يسكنه الحضارم يسمى ( زاوية ) " .

الحضارم هم الوحيدين من العرب الذين حملوا عصا الترحال إلى الأرخيبيل الهندي ( اندونيسيا ) أما العرب الآخريين فليس لهم اثر واضح فيها . وهذا ما دفع الباحث الهولندي فان دن بيرخ أن يقول : " ينحدر جميع العرب المستقرين اليوم ( أي في سنة ١٨٨٦ م ) في الأرخيبيل الهندي تقريبا من أصل حضرمي . ومن النادر جدا أن تقابل بينهم أفرادا قدما من مسقط في سواحل الخليج العربي أو من الحجاز أو من مصر ( الذي انشأها الحضارم في اندونيسيا الأخرى في اليمن " . ويضيف ، قائلا : " ومن النادر كذلك أن تجد بين العدد الحدود من هؤلاء الأفراد من يختار الإقامة الدائمة في جزر الأرخيبيل الهندي ، ومن يفعل ذلك يتصهر وسط الكم الهائل من العرب القادمين من حضرموت .

#### جاكرتا

وفي واقع الأمر ، استطاع المهاجرين الحضارم والطيور المهاجرة من حضرموت أن يؤسسوا الكثير من المستوطنات أو بمعنى أوسع سلطنات أو الأرخيبيل الهندي كتبت لها البقاء والحياة والأزدهار بل أن إحدى تلك السلطنات أو المدن التي انشأها الحضارم في اندونيسيا عاصمة لها ومازالت حتى هذه اللحظة ماثلة أمامنا وهي باتافيا الاسم القديم للمدينة جاكرتا تسمى زوري قصة المهاجر الحضرمي الذي نشر الإسلام ، والحب ، والسلام في اندونيسيا والتي صارت جزء هاما من نتيج العالم الإسلامي الكبير . ويتطرق الباحث الهولندي فان دن بيرخ إلى أهم وأكبر التجمعات الحضرمية في المستوطنات الحضرمية في الأرخيبيل الهندي – على حسب تمييزه – وهي باتافيا ( جاكرتا ) التي صارت في سنة ١٨٤٤ م أكبر المستوطنات الحضرمية في جزر اندونيسيا وكذلك كانت جاذبة من النشاط والحركة التجارية الكبيرة بفضل حركة الصادرات التجارية . ومع مرور الوقت فقد صارت باتافيا ( جاكرتا ) كل جزء منها ينطق بالملام الحضرمية . وهذا هو الذي تزين واجهة العمارات في هذه المنطقة أو تلك . وفي هذا يقول حامد القادري : " ومن خلال تاريخ تأسيس بل السلطنات واضع جدا أنها لم تدم بقوة السلاح ، وأن هؤلاء العرب ( الحضارم ) أصبحوا سلاطين برضى وسوافة شعب المنطقة ... فقد قبلهم الناس سلاطين لهم . ولم يعتبروهم مستعمرين بل سلاطين من ذات أنفسهم .

### السادة الحضارم

والحقيقة أنه هناك عددا من الملاحظات على ما أورده الباحث الهولندي فان دن بيرخ في الحضارم في باتافيا ( جاكرتا ) يجب الوقوف عندها وهي كالتالي :

× ذكر الباحث الهولندي أنه يوجد فئة قليلة من السادة الحضارم ، ولكنه لم يقول أن حياة المهاجرين الحضارم في باتافيا هي غيرهما من جزر اندونيسيا أو الأرخيبيل الهندي . وأن هؤلاء السادة كان لهم دورا هاما في نشر الإسلام بين السكان المحليين سواء في باتافيا أو غيرها من المناطق الاندونيسية حيث أقاموا المساجد المنيقة التي كانت تدرس الحديث والعقيدة ، وتدرّس اللغة العربية ، وتقيم ومسابدئ الإسلام وما شابه ذلك . وكان هؤلاء السادة الحضارم الذين ينتمى نسيمهم إلى ( الحسن والحسين ) من أبناء فاطمة – رضي الله عنهم – لهم تأثير روحي عظيم في نفوس الحضارم الأوائل وأبنائهم المولودين من أم اندونيسيا ( جاكرتا – بحق – المستوطنات التي وفدت إلى تلك الجزيرة هي من قبائل نهد ، أو الكثير ، ويقع .... ) وسبب هذه الهجرة أصبحت المستوطنات مكتظة بالسكان وفي بعض الأحيان تنسك عائلتان أو ثلاث عائلات في منزل واحد ...

### الطراز المعماري الحضرمي

وأما عن السادة العلويين فهو يقول عنهم أنهم يشكلون أقلية ضئيلة بينهم أي بين المهاجرين الحضارم . وربما كان مناسبا أن نقبّس فكرة من كلامه عن الحضارم في باتافيا ( جاكرتا ) في سنة ١٨٤٤ م ، أن

## تراث وتاريخ اشراف/ محمد زكريا

المغتخرسة . وتشير المصادر العثمانية أن الجنود العثمانيين قبل ليلة الزحف على القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ، أشعلوا النيران أمام خيامهم ، وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون حتى إذ برزت أنوار الفجر . صدرت إليهم الأوامر بالزحف على المدينة . فهجم مائة وخمسون ألف جندي وتسلفوا الأسوار حتى دخلوا القسطنطينية .

### مألاً الفراغ السياسي

وفي الحقيقة أن فتح عاصمة الإمبراطورية البيزنطية من قبل السلطان العثماني محمد الثاني والذي سمي بعد ذلك باسم (( محمد الفاتح )) كان يعني بداية طي صفحة وفتح صفحة جديدة في تاريخ السلطنة العثمانية وشرق أوربا . والوطن العربي . وكيفما كان الأمر لقد تمكنت تلك السلطنة العثمانية في ذروة مجدها وعتقوا قوتها أن تملأ الفراغ السياسي الكبير الذي تركته الخلافة العباسية بعد سقوطها على يد الجيوش المغولية سنة ( ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م ) وأن تكون بمثابة جدار ضخما حتى الوطن العربي والعالم الإسلامي قرابة خمسمائة عام من الاطباع الأجنبية . ومن يطلع ويقرأ في دور تاريخ العثمانيين في حماية السواحل والموانئ الهندية في البحر الأحمر من حصار الأساطيل البرتغالية سيردك تمام الإدراك أن تلك الخلافة العثمانية كانت في شرح شبابها . وقوة بنيانها بذلت الكثير والكثير من الجهود والعبارة و التضحيات البسامت من أجل حماية البلدان العربية والأمصار الإسلامية مثل إسامات وممكالحهند من ذلك الغزو البرتغالي الذي كان يكن كل العداء والحقد الأسود للحرب والمسلمين .



جزر اندونيسيا أو الأرخيبيل الهندي سلطنة تسمى بونتاياك . وكان سلطانها الحضرمي يشتم باتق اقتصادية واسعة فقد شجع المهاجرين الحضارم إلى الاستقرار في السلطنة وذلك من خلال الامتيازات التجارية التي منحنى لهم وبسبب ذلك كون التجار الحضارم ثروة ضخمة من ناحية واحتكروا التجارة مع المناطق الداخلية للسلطنة من ناحية أخرى . ولم يستطيع المستعمر الهولندي أن يحتمل ذلك فقد عمل على تضيقان التجار الحضارم وذلك من خلال سن القوانين المحققة والحاكمة التي تقيد من عملهم في الميدان التجاري . وعمل متعمدا على تشجيع غير الحضارم في الاستغلال في التجارة مثل الصينيين والبنجاليين . وفي هذا يقول فان دن بيرخ حول سياسة السلطات الهولندية في وضع العرائض للحضارم بالباء . امتيازاً لهم التجارة كالتالي : " ... إلى أن أدى تدخل الحكمة الهولندية إلى إلغاء تلك الامتيازات وذلك الاحتكار بشكل تدريجي . وحجما تطورت حالة المدينة لتحسن وضع التجار غير العرب ( الحضارم ) أصبحت تجارة البملة باكفها في أيدي الصينيين والبنجاليين . ولم بعد هناك إلا قليل من عرب حضرموت الذين يمارسون تجارة الجزوة في حدود ضيقة " .

#### سلطنة آتشيه ( Aceh )

تذكر لنا المصادر الاندونيسية أن سلطنة آتشيه كان يوجد بها عددا ضخما من المهاجرين الحضارم بقوفون الجزر الاندونيسية الأخرى . وأن تلك السلطنة أو الجزيرة شهدت معسارك العثمانية بين الحضارم والمولدين والمستعمر الهولندي الذي أرسل الحملات العسكرية تلو الحملات للسيطرة على سلطنة آتشيه وسلطانها التي تعود أصوله حضرموت والفعل وقعت في قبضة الهولنديين وذلك بسبب الأسلحة الفتاكة التي كانت تملكها مع المولدين الحضارم الذين اندموا بقوة شديدة ارتكبت الأعداء . وهذا دليل آخر على مدى ارتباط السكان المحليين بالحضارم وذلك بسبب ما شاهدوه من سلوكهم العملي الطيب ، وإحلالهم الفاضلة ، وامانتهم وصدمتهم في تعاملهم معهم – كما قلنا سابقا – . وتشير المصادر الهولندية إلى أن الحضارم اضطروا إلى النزوح إلى مناطق بعيدة عن نفوذ الهولنديين في آتشيه . ويشير الباحث الهولندي فان دن بيرخ بأن الاضطرابات والشورات لم تهدم من قبل الحضارم والسكان المحليين في سلطنة آتشيه حتى بعد احتلال الهولنديين لها . ولكنه لم يذكر الأسباب التي دفعت الكثير من الحضارم والسكان المحليين إلى مغادرتها . والحقيقة أن السلطات الهولندية الاستعمارية استطعت وأسلت وشعلت وقاسية مفرقة بالقوة أمام ناس عزل . وعملت عددا على ترحيل الكثير من الحضارم عن السلطنة . وربما كان مناسبا من هنا أن نتخطف بعض ما قلنا فان دن بيرخ عن احتلال الهولندي سلطنة آتشيه : " ومنذ احتلال هولندا لآتشيه والاضطرابات التي نتجت عن ذلك الاحتلال ، غادر أولئك العرب ( الحضارم ) مدينة كوت راجا وضواحيها ، أي المسرح الرئيس للتعاطف لآتشيه ولا سيما في الموانئ الواقعة في الساحل الجنوبي .

وأزاء محاولات المستعمر الهولندي في أعمال الشغب من قبل المولدين الحضارم ، طمس الهوية الحضرمية الإسلامية . فقد تشبث أبناء المهاجرين الحضارم ( المولودين بعاداتهم ، وتقاليدهم ، وأعرافهم وذلك الحضرمية ) في الأعياد والمناسبات الرسمية . ولم يقتصر مواجهة سياسة المستعمر الرامية إلى طمس كل ما هو عربي أو حضرمي من احتفظ المولدين بأسماء عائلاتهم الحضرمية . والحقيقة أن سياسة المستعمر الهولندي للباء ، عملت على تاجيح المشاعر القومية والإسلامية وأضاح أجيال الشماعر الوطنية للسكان المحليين الذين وجدوا أرضهم تهب وتسلم من قبل اجنبي ضخم ، فوفقوا بجانب أبناء المهاجرين الحضارم ( المولودين )) في صد غطرسة المستعمر الهولندي التي جاء بالبنادق والمدافع ليقتل جزيرتهم . وفي الوقت الذي جاء الحضارم من أقصى العمورة يحملون معهم الخير والرخاء لهم .

#### المولودين

فكان الشغل الشاغل والهلم الأكبر للسلطات الهولندية هو القضاء على النفوذ الاقتصادي للحضارم بشتى الوسائل وذلك من خلال سن القوانين المحققة بحقهم . وهذا ما شاهدناه عندما سحبت الامتيازات من تجار الحضارم . وكان من تداعيات تلك السياسة الهولندية المعادية للحضارم في اندونيسيا تدهورا كبيرا وخاصة في الأرواح الاقتصادية .

#### المولودين

فكان الشغل الشاغل والهلم الأكبر للسلطات الهولندية هو القضاء على النفوذ الاقتصادي للحضارم بشتى الوسائل وذلك من خلال سن القوانين المحققة بحقهم . وهذا ما شاهدناه عندما سحبت الامتيازات من تجار الحضارم . وكان من تداعيات تلك السياسة الهولندية المعادية للحضارم في اندونيسيا تدهورا كبيرا وخاصة في الأرواح الاقتصادية .

#### المولودين

فكان الشغل الشاغل والهلم الأكبر للسلطات الهولندية هو القضاء على النفوذ الاقتصادي للحضارم بشتى الوسائل وذلك من خلال سن القوانين المحققة بحقهم . وهذا ما شاهدناه عندما سحبت الامتيازات من تجار الحضارم . وكان من تداعيات تلك السياسة الهولندية المعادية للحضارم في اندونيسيا تدهورا كبيرا وخاصة في الأرواح الاقتصادية .

#### سلطنة بونتاياياك

وفي القرن الثاني عشر الهجري والقرن الثامن عشر الميلادي ) ظهرت على سطح